يا سيد عنده عشرة أمناء

ذكر القديس لوقا الرسول في مثل العشرة أمناء أنه لما وجد السيد أن العبد أخفى مناه في منديل ولم يتاجر به أمر أن يؤخذ منه هذا المنا ويعطى للعبد الأول الذي عنده العشرة الأمناء. هنا تعجب الحاضرون قائلين: "يا سيد عنده عشرة أمناء" (لو١٩:٢٥). هذه العبارة الاستنكارية تحمل الكثير من التعجب والاعتراض. إلا أن هذا التعجب ناتج عن الجهل بقوانين الملكوت. فالإنسان الطبيعي يُخضع إدراكه للملكوت للمنطق البشري والأحكام الإنسانية. أما السيد الرب المعلم الصالح فقد صحح المفاهيم المغلوطة عن الملكوت معلناً عن حقيقة ثابتة وقانون سماوي ينص على أن "كل من له يُعطى ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه" (لو١٩:٢٦).

يرى العقل البشري في حساباته المنطقية وفي تحقيقه لعدالة التوزيع أن من ليس له هو الأجدر بالعطاء وأنه ينبغي على من له أن يعطي بدلاً من أن يأخذ. بل وعلى أسوأ الاحتمالات إن كان ولابد أن يؤخذ المنا ويعطى لأحد التاجرين الرابحين ألم يكن بالأجدر أن يُعطى للذي ربح الخمسة أمناء وليس للذي ربح العشرة؟!! ولماذا لم يترك السيد المنا للعبد وأخذه منه ألا تكفيه عقوبة أنه صار بلا ربح أو ثمر؟!!

إلا أن الروح القدس الذي قيل عنه أنه يهب حيث يشاء له قوانينه الخاصة. لقد اعتمد التوزيع الأول للأمناء على مبدأ المساواة حيث لم يكن هناك أفضلية لأحد على الآخر. لقد كانوا جميعاً عبيداً وجميعهم أخذوا نفس الهبة وانطلقوا من نفس نقطة البداية. هذا ما يحدث في المعمودية حيث يُمنح الجميع عطية واحدة متساوية دون أية أفضلية أو فضل وهي بذرة الملكوت والإنسان الجديد. يعني ذلك أننا في المعمودية نكون مجرد مستقبلين سلبيين للعطية بشكل مجاني دون أن نكون قد بذلنا أي مجهود لنستحق الحصول عليها. أما التوزيع الثاني فيأتي وقت إعطاء الحساب عن الوكالة ويستند هذا التوزيع لا على المجانية ولكن على أفضلية الجهاد والاجتهاد في الربح.

لو راجعنا المثل لوجدنا أن الكتاب المقدس لم يذكر ماذا حدث مع العبيد السبعة الآخرين لكن من السهل استنتاج تكرر هذه النماذج الثلاثة فيما بينهم. مما يعني دورة ثانية لتوزيع الأمناء المخفية في المناديل. لقد كان التوزيع الأول بهدف الامتحان أما التوزيع الثاني فجاء على سبيل التزكية والمكافأة. فالحقيقة أن المنا الاثني عشر الذي أضيف إلى العبد الأول لم يُعطَ له لكي يتاجر به مثل المنا الأول حيث أن ميعاد الإتجار قد فات بالفعل وأغلق الباب. هذا هو الفرق بين المنا الأول والمنا الاثني عشر. فالعطية الأولى هي عربون الملكوت وليست للافتخار بل للاجتهاد، أما الأخيرة فهي الملكوت

ذاته وإكليل النصرة والفرح. هذا المنا الاثنا عشر له مذاقة خاصة مختلفة عن العشرة أمناء التي ربحها العبد بجهاده. إنه مكافأة الكاملين الذين لم يرضوا بمجرد الجهاد مثل رابحي الأمناء الخمسة بل بالجهاد الكامل.